

## 222529 - بعض جوانب العشرة الزوجية الحميدة التي يدل عليها حديث أم زرع

### السؤال

قرأت حديثاً في صحيح البخاري ، في الكتاب السابع والستين ، حديث رقم 123 . وهو حديث طويل عن 11 امرأة تتحدث كل واحدة منهن عن زوجها ، وعندي بعض الأسئلة حول هذا الحديث : - ما الصفات التي كان يقصدها النبي صلى الله عليه وسلم عندما قال " أنا لك كأبي زرع لأم زرع " ؟ - لماذا طلق أبو زرع أم زرع ؟ - ما الخصال الجيدة للزوج التي يشير إليها الحديث ؟ - هل يفهم من الحديث أن أبا زرع كان زوجاً جيداً ؟

### الإجابة المفصلة

الحمد لله.

روى البخاري (5189) ، ومسلم (2448) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : جَلَسَ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً ، فَتَعَاهَدْنَ وَتَعَاقَدْنَ أَنْ لَا يَكْتُمَنَّ مِنْ أَخْبَارِ أَزْوَاجِهِنَّ شَيْئًا ، قَالَتِ الْأُولَى : زَوْجِي لَحْمٌ جَمَلٌ غَثٌّ ، عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ : لَا سَهْلٌ فَيُرْتَقَى وَلَا سَمِينٌ فَيُنْتَقَلُ ... الحديث ، وفيه : قَالَتِ الْحَادِيَةَ عَشْرَةَ : زَوْجِي أَبُو زَرَعٍ ، وَمَا أَبُو زَرَعٍ ، أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْثَى ، وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِي ، وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي ، وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ ، وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ، فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحُ ، وَأَرْقُدُ فَأَتَصَبَّحُ ، وَأَشْرَبُ فَأَتَفَتَّحُ ، أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا أُمُّ أَبِي زَرَعٍ ، عُكُومُهَا رَدَاحٌ ، وَيَبْتُهَا فَسَاحٌ ، ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا ابْنُ أَبِي زَرَعٍ ، مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ ، وَيُسْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ، بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا بِنْتُ أَبِي زَرَعٍ ، طَوْعُ أَبِيهَا ، وَطَوْعُ أُمِّهَا ، وَمِلءُ كِسَائِهَا ، وَغَيْظُ جَارَتِهَا ، جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، فَمَا جَارِيَةُ أَبِي زَرَعٍ ، لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيثًا ، وَلَا تُنَقِّثُ مِيرَتَنَا تَنْقِيثًا ، وَلَا تَمْلَأُ بَيْتَنَا تَعْشِيشًا ، قَالَتْ : خَرَجَ أَبُو زَرَعٍ وَالْأَوْطَابُ تُمْخَضُ ، فَلَقِيَ امْرَأَةً مَعَهَا وَلَدَانِ لَهَا كَالْفَهْدَيْنِ ، يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ، فَطَلَقَنِي وَنَكَحَهَا ، فَنَكَحْتُ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا ، رَكِبَ سَرِيًّا ، وَأَخَذَ خَطِيئًا ، وَأَرَّاحَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ، وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا ، وَقَالَ : كُلِّي أُمُّ زَرَعٍ وَمِيرِي أَهْلَكَ ، قَالَتْ : فَلَوْ جَمَعْتُ كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ آيَةِ أَبِي زَرَعٍ . قَالَتْ عَائِشَةُ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرَعٍ لِأُمِّ زَرَعٍ ) .

شرح الحديث :

( أَنَاسَ مِنْ حُلِيِّ أُنْثَى ) أي أُنَاسِي بِالْحُلِيِّ فِي أُنْثَى فَهُوَ يَتَدَلَّى مِنْهَا .

( وَمَلَأَ مِنْ شَحْمِ عَضْدِي ) مَعْنَاهُ أَسْمَنَنِي .

( وَبَجَحَنِي فَبَجَحَتِ إِلَيَّ نَفْسِي ) مَعْنَاهُ وَعَظَّمَنِي فَعَظُمْتُ عِنْدَ نَفْسِي . يُقَالُ : فُلَانٌ يَتَبَجَّحُ بِكَذَا أَيُّ يَتَعَظَّمُ وَيَفْتَخِرُ .

( وَجَدَنِي فِي أَهْلِ غُنَيْمَةِ بِشَقٍّ ، فَجَعَلَنِي فِي أَهْلِ صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ وَدَائِسٍ وَمُنَقٍّ ) أَرَادَتْ أَنْ أَهْلَهَا كَانُوا أَصْحَابَ غَنَمٍ لَا أَصْحَابَ

خَيْلٍ وَإِبِلٍ ، وَالْعَرَبُ لَا يَعْظُمُونَ أَصْحَابَ الْغَنَمِ ، وَإِنَّمَا يَعْظُمُونَ أَهْلَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ .

وَأَمَّا قَوْلُهَا : ( بِشِقِّ ) يَحْتَمِلُ أَنَّهُ اسْمُ مَكَانٍ ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ مَرَادُهَا أَيْ بِشَطَفٍ مِنَ الْعَيْشِ وَجَهْدٍ . وَقَوْلُهَا : ( وَدَائِسَ ) هُوَ الَّذِي يَدُوسُ الزَّرْعَ فِي يَبْدَرِهِ . يُقَالُ : دَاسَ الطَّعَامَ دَرَسَهُ .

قَوْلُهَا : ( وَمُنَقِّ ) الْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يُنَقِّي الطَّعَامَ أَيْ يُخْرِجُهُ مِنْ قَشُورِهِ ، وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ صَاحِبُ زَرْعٍ ، وَيَدُوسُهُ وَيُنَقِّيهِ . قَوْلُهَا ( فَعِنْدَهُ أَقُولُ فَلَا أَقْبَحَ ) مَعْنَاهُ لَا يُقْبَحُ قَوْلِي فَيَرُدُّ ، بَلْ يَقْبَلُ مِنِّي .

وَمَعْنَى ( أَتَصَبَّحُ ) أَنَامَ الصُّبْحَةَ ، وَهِيَ بَعْدُ الصَّبَاحِ ، أَيْ أَنَّهَا مَكْفِيَةٌ بِمَنْ يَخْدُمُهَا فَتَنَامُ .

وَقَوْلُهَا : ( فَأَتَقَنَّحَ ) مَعْنَاهُ أَرَوَى حَتَّى أَدَعَ الشَّرَابَ مِنَ الشَّدَّةِ الرَّيِّ .

قَوْلُهَا : ( عُكُومُهَا رَدَاحٌ ) الْعُكُومُ هِيَ الْأَوْعِيَةُ الَّتِي فِيهَا الطَّعَامُ وَالْأَمْتَعَةُ ، وَرَدَاحٌ أَيْ عِظَامٌ كَبِيرَةٌ .

قَوْلُهَا : ( وَبَيَّنَّهَا فَسَاحٌ ) أَيْ وَاسِعٌ .

قَوْلُهَا : ( مَضْجَعُهُ كَمَسَلٍ شَطْبَةٍ ) مُرَادُهَا أَنَّهُ خَفِيفُ اللَّحْمِ ، وَهُوَ مِمَّا يُمْدَحُ بِهِ الرَّجُلُ .

قَوْلُهَا : ( وَتُسْبِعُهُ ذِرَاعُ الْجَفْرَةِ ) الْجَفْرَةُ وَهِيَ الْأُنْثَى مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ ، وَهِيَ مَا بَلَغَتْ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَفُصِّلَتْ عَنْ أُمِّهَا . وَالْمُرَادُ أَنَّهُ قَلِيلُ الْأَكْلِ ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ .

قَوْلُهَا : ( طَوَّعَ أَبْيَهَا وَطَوَّعَ أُمُّهَا ) أَيْ مُطِيعَةً لَهُمَا مُنْقَادَةً لِمَرْهَمَا .

قَوْلُهَا : ( وَمِلءَ كِسَائِهَا ) أَيْ مُمْتَلِئَةَ الْجِسْمِ سَمِينَةً .

قَوْلُهَا : ( وَغِظَ جَارَتَهَا ) قَالُوا : الْمُرَادُ بِجَارَتِهَا ضَرَّتَهَا ، يَغِظُهَا مَا تَرَى مِنْ حَسَنَتِهَا وَجَمَالِهَا وَعِفَّتِهَا وَأَدَبِهَا .

قَوْلُهَا : ( لَا تَبْتُ حَدِيثَنَا تَبْثِيئًا ) أَيْ لَا تُشِيعُهُ وَتُظْهِرُهُ ، بَلْ تَكْتُمُ سِرَّنَا وَحَدِيثَنَا كُلَّهُ .

قَوْلُهَا : ( وَلَا تُنْقِثْ مِيرَتَنَا تَنْقِيئًا ) الْمِيرَةُ الطَّعَامُ الْمَجْلُوبُ ، وَمَعْنَاهُ لَا تُفْسِدُهُ ، وَلَا تُفَرِّقُهُ ، وَلَا تَذْهَبُ بِهِ وَمَعْنَاهُ وَصْفُهَا بِالْأَمَانَةِ .

قَوْلُهَا : ( وَلَا تَمَلُّ بَيْتَنَا تَعْشِيئًا ) أَيْ لَا تَتْرُكِ الْكُنَاسَةَ وَالْقِمَامَةَ فِيهِ مُفَرِّقَةً كَعُشِّ الطَّائِرِ ، بَلْ هِيَ مُصْلِحَةٌ لِلْبَيْتِ ، مُعْتَنِيَةٌ بِتَنْظِيفِهِ .

قَوْلُهَا : ( وَالْأَوْطَابُ تُمَخَّضُ ) هُوَ جَمْعُ وَطْبٍ وَهِيَ سَقِيَّةُ اللَّبَنِ الَّتِي يُمَخَّضُ فِيهَا .

قَوْلُهَا : ( يَلْعَبَانِ مِنْ تَحْتِ خَصْرِهَا بِرُمَانَتَيْنِ ) الْمُرَادُ بِالرُّمَانَتَيْنِ هُنَا ثَدْيَاهَا .

قَوْلُهَا : ( فَنَكَحَتْ بَعْدَهُ رَجُلًا سَرِيًّا رَكِبَ شَرِيًّا ) ( سَرِيًّا ) مَعْنَاهُ سَيِّدًا شَرِيفًا ، وَقِيلَ : سَخِيًّا ، ( شَرِيًّا ) هُوَ الْفَرَسُ الْفَائِقُ الْخِيَارُ .

قَوْلُهَا : ( وَأَخَذَ خَطِيًّا ) هُوَ الرَّمْحُ .

قَوْلُهَا : ( وَأَرَاخَ عَلَيَّ نَعْمًا ثَرِيًّا ) أَيْ أَتَى بِهَا إِلَى مَوْضِعِ مَبِيتِهَا . وَالنَّعَمُ الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ .

وَالثَّرِيُّ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ .

قَوْلُهَا : ( وَأَعْطَانِي مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ زَوْجًا ) فَقَوْلُهَا ( مِنْ كُلِّ رَائِحَةٍ ) أَيْ مِمَّا يَرُوحُ مِنَ الْإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالْعَبِيدِ . وَقَوْلُهَا ( زَوْجًا )

( أَيْ اِئْتَيْنِ ، وَيَحْتَمِلُ أَنَّهَا أَرَادَتْ صِنْفًا ، وَالزَّوْجُ يَقَعُ عَلَى الصِّنْفِ .

قَوْلُهُ : ( مِيرِي أَهْلَكَ ) أَيْ أَعْطَيْهِمْ وَأَفْضَلِي عَلَيْهِمْ وَصَلِّيهِمْ .

قال الحافظ رحمه الله :

" زَادَ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ بْنِ عَدِيِّ : ( فِي الْأُلْفَةِ وَالْوَفَاءِ لَا فِي الْفُرْقَةِ وَالْجَلَاءِ ) . وَزَادَ الزُّبَيْرُ - يَعْنِي ابْنَ بَكَارٍ - فِي آخِرِهِ : ( إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ ) . وَزَادَ النَّسَائِيُّ فِي رِوَايَةٍ لَهُ وَالطَّبْرَانِيُّ : قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ بَلْ أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي زَرْعٍ . وَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ ذَلِكَ تَطْيِيبًا لَهَا وَطُمَأْنِينَةً لِقَلْبِهَا وَدَفْعًا لِإِيْهَامِ عُمُومِ التَّشْبِيهِ بِجُمْلَةِ أَحْوَالِ أَبِي زَرْعٍ ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَذُمُّهُ النِّسَاءُ سِوَى ذَلِكَ ، وَأَجَابَتْ هِيَ عَنْ ذَلِكَ جَوَابَ مِثْلِهَا فِي فَضْلِهَا وَعِلْمِهَا " انتهى من " فتح الباري " (9/275) .

وقال أيضا :

" التَّشْبِيهِ لَا يَسْتَلْزِمُ مُسَاوَاةَ الْمُشَبَّهِ بِالْمُشَبَّهِ بِهِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ ؛ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ ) وَالْمُرَادُ مَا بَيَّنَّهُ بِقَوْلِهِ فِي رِوَايَةِ الْهَيْثَمِ فِي الْأُلْفَةِ إِلَى آخِرِهِ لَا فِي جَمِيعِ مَا وُصِفَ بِهِ أَبُو زَرْعٍ مِنَ الثَّرْوَةِ الزَّائِدَةِ وَالْإِبْنِ وَالْخَادِمِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ كُلِّهَا " انتهى من " فتح الباري " (9/277) .

وَقَالَ الْفَرَطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ :

" قَوْلُهُ : ( كُنْتُ لَكَ مَعْنَاهُ أَنَا لَكَ ، وَهَذَا نَحْوُ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : ( كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ) أَيِ أَنْتُمْ خَيْرُ أُمَّةٍ " انتهى من " عمدة القاري " (20/178) .

فمقصوده صلى الله عليه وسلم بقوله : ( كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لِأَمِّ زَرْعٍ ) يعني في حسن العشرة ، وكرم الصحبة ، ودوام المحبة والألفة ، وأكد ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم : ( إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكَ ) .

ثانيا :

سبب طلاق أبي زَرْعٍ أُمِّ زَرْعٍ ، أن هذه المرأة التي لقبها فأعجبته وتزوجها على أُمِّ زَرْعٍ ، ألحت عليه في طلاق أُمِّ زَرْعٍ - وكان يهواها ويحبها أكثر من محبته أُمِّ زَرْعٍ - فطلقها .

قال الحافظ :

" قَوْلُهُ : ( فَطَلَّقَنِي وَنَكَحَهَا ) فِي رِوَايَةِ الْحَارِثِ : ( فَأَعْجَبْتُهُ فَطَلَّقَنِي ) ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي مُعَاوِيَةَ : ( فَخَطَبَهَا أَبُو زَرْعٍ ، فَتَزَوَّجَهَا ، فَلَمْ تَزَلْ بِهِ حَتَّى طَلَّقَ أُمَّ زَرْعٍ ) ، فَأَفَادَ السَّبَبُ فِي رَغْبَةِ أَبِي زَرْعٍ فِيهَا ثُمَّ فِي تَطْلِيلِهِ أُمَّ زَرْعٍ " انتهى من " فتح الباري " (9/274) .

ثالثا :

تضمن هذا الحديث بعض الخصال الحسنة التي ينبغي أن يكون عليها الزوج تجاه زوجته ، فمن ذلك :

- حسن العشرة بالتأنيس والمحادثة .

- المباشطة بالمداعبة والمزاح في غير تعد .

- إتحافها بالهدايا والألطاف .

- إكرامها بحسن الإنفاق عليها وعدم البخل حتى إنها ذكرت أن زوجها الثاني كان كريما معها ومع ذلك قالت : ( لَوْ جَمَعْتُ

كُلَّ شَيْءٍ أَعْطَانِيهِ ، مَا بَلَغَ أَصْغَرَ أَنْبِيَاءِ أَبِي زَرْعٍ ) .

– عدم استهجانها أو الاستخفاف بعقلها إذا تكلمت أو فعلت شيئا .

– إمساكها بمعروف وعدم تطليقها حيث كانت عفيفة دينة ، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم : ( كُنْتُ لَكَ كَأَبِي زَرْعٍ لَأُمِّ زَرْعٍ ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَّقَهَا وَإِنِّي لَا أُطَلِّقُكِ ) .

– رعاية أولادها وحسن تربيتهم وتأديبهم ، فإن ذلك من تمام حسن عشرتها .

– حسن اختيار الزوج للجارية التي تخدم في البيت ، فتصلح ولا تفسد ، وتزوج للخير وتسكت عن الشر ، وذلك أيضا من تمام حسن عشرته لزوجته .

وقد جاء أن أبا زرع ندم بعد ذلك على طلاقها .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله :

" وَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ أَبَا زَرْعٍ نَدِمَ عَلَى طَلَاقِهَا ، وَقَالَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا " انتهى من " فتح الباري " (9/277) .

والله أعلم .